٦

تقديم الأخلاق وعلاجها

- علاج سلبيات الأبناء انطلاقًا من إيجابياتهم.
- محاسبة النفس وتقويمها (الكيّس من دان نفسه).
- التوبة إلى الله وأثرها فى تقويم الأخلاق.
- أتبع السيئة الحسنة تمحها.
- الدعاء بحسن الخلق.

الفصل السادس
تقويم الأخلاق وعلاجها

مقدمة:

يزيد الإيمان وينقص، ويقوى ويضعف، فيحتاج إلى ما يجدده وإلى ما يصححه ويقويه... مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: (إن الإيمان ليُخلق فى جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان فى قلوبكم)[٢٣٤]... وكذا الأخلاق يمكن أن تسوء وتتردى، إذا ما وجدت بيئة تدفع بها إلى السوء والتردى، كما يمكن أن تحسن وتسمو إذا ما وجدت بيئة تحافظ على حُسنها وجودتها، أو تسمو بها وترفعها من حسن إلى أحسن ومن جيد إلى أجود.

وهكذا تحتاج الأخلاق إلى التقييم والتقويم المستمرين، لإصلاح السيئ منها والفاسد، وللتمسك بالجيد والحسن وتنميته... ولعل ذلك ما يمكن تناوله وبإيجاز فى النقاط التالية:

* علاج سلبيات الأبناء انطلاقًا من إيجابياتهم.
* محاسبة النفس وتقويمها (الكيّس من دان نفسه).
* التوبة إلى الله وأثرها فى تقويم الأخلاق.
* أتبع السيئة الحسنة تمحها.
* الدعاء بحسن الخلق.

أولاً: علاج سلبيات الأبناء انطلاقًا من إيجابياتهم:

إذا كان: كل ابن آدم خطاء، فالأطفال خطاءون، لأنهم من بنى آدم، وعرضة للخطأ أكثر من الكبار، ولقلة معرفتهم وقلة خبرتهم بالحياة، ولغلبة هوى الطفولة عليهم وتحكم غرائزهم الفطرية فيهم...

فالطفل، متوقع منه الخطاء أكثر من الصواب، لأنه لا يعرف أن الخطأ خطأ حتى يجتنبه، إلا بعد تعريفه به، وتحذيره منه، ومتابعته لعدم إتيانه... ولا يعرف الصواب أنه صواب حتى يأتيه، إلا بعد تعريفه به، وترغيبه فيه، ومتابعته للإتيان به.

لذلك فمن أجل تقويم أخلاق الأطفال وإصلاح أخطائهم وعلاج سلبياتهم فليكن ذلك لا بالتقريع والتبكيت، ولا بمداومة اللوم والتوبيخ ولا بالترديد لأخطائهم وسلبياتهم، كما لو كانت تصرفاتهم وأفعالهم كلها أخطاء وسلبيات... وإنما يكون الإصلاح للأخطاء والعلاج للسلبيات انطلاقًا من محاسنهم وإيجابياتهم، تشجيعًا لهم على التمسك بتلك المحاسن والإيجابيات، واستعادة لثقتهم فى أنفسهم بما فيها من إيجابيات للتغلب على السلبيات.

فلا يصح أن نكرر على مسامع الطفل أخطاءه ومساوئه كما لو كانت حياته كلها أخطاء ومساوئ... إذ من الخطأ أن يسمع دائمًا والمحيطون به بأنه فاشل حتى يصدق بأنه فاشل، أو أن يسمع دائمًا بأنه متخلف أو غبى حتى يعتقد أنه فعلًا متخلف أو غبى... وإنما

الصواب أن نشجعه ونعلى من همته، فنصلح من مواقف الفشل والإخفاق لديه انطلاقًا من نقاط القوة والإيجابية ومواقف النجاح فى حياته، وأن نبرز لديه مواقف النبوغ والتفوق فى أى من مجالات حياته... لتزداد ثقته فى نفسه بدلًا من أن يفقدها، ولترتفع همته بالتخلص من السلبيات والتزود بالإيجابيات.

ثانيًا: محاسبة النفس وتقويمها (الكيّس من دان نفسه):

يتنازع الإنسان فى هذه الحياة عاملان: عامل الخير، وعامل الشر. وكثيرًا ما ينساق الإنسان إلى أحدهما بدافع داخلى أو بمؤثر خارجى.

والدين الإسلامى حريص على وقاية الإنسان من نزعات الشر ببيان ضرر الشر والتحذير منه، ودعوة الذين تورطوا فيه إلى محاسبة النفس وإصلاحها متى نزعت إلى الشر وكانت بحاجة إلى إصلاح... كما أن الدين حريص على محاسبة النفس وتزكيتها والسمو بها لرفعها من درجة إلى درجة أعلى.

فالإنسان بحاجة إلى محاسبة النفس وإصلاحها متى كانت شريرة أو سارت فى طريق الشر، لأن التمادى فى الشر يجر إلى أوخم العواقب على النفس الإنسانية وعلى المجتمع. ولهذا وعد الله الذين يصلحون أنفسهم بالغفران والرضا، فقال سبحانه: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(المائدة: ٣٩). ويخاطب الله الإنسانية جمعاء بقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ

عَلَيْكُمْ آيَاتِى فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(الأعراف: ٣٥).

والعاقل المتبصر هو من يحاسب نفسه ويصلحها أولًا بأول، ويزكيها، باحثًا عن الهداية وطرقها، تاركًا الضلال وسبله، ممتثلًا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾(الإسراء:١٥).

والعاقل المتبصر فى الأمور، من يحاسب نفسه وينظر فى العواقب المترتبة عليها، ويعمل لما بعد الموت، علاجًا وإصلاحًا لعوجها، وتزكيه وتنمية لاستقامتها، امتثالًا لتوجيهات المصطفى ﷺ، فيما رواه شداد بن أوس، عنه أنه ﷺ قال: (الكيّس من دان نفسه) أى حاسبها، (وعمل لما بعد الموت) أى قوّمها وأصلحها، (والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى)[٢٣٥]... وقد يقال: إن فى الحديث ضعفًا فى السند، لكن الحديث يتفق فى مضمونه مع قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَّ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر:١٨-١٩).

ومن جميل ما قيل فى محاسبة النفس لتقويمها، ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا

للعرض الأكبر، وإنما يخفف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه فى الدنيا"[٢٣٦].

والإنسان بحاجة إلى محاسبة النفس حتى مع صلاحها، بتزكيتها والسمو بها من حسن إلى أحسن ومن جيد إلى أجود... "ليرتفع قدرها ولتأخذ عند الله حظها من الرضوان، وبين الناس نصيبها من الكرامة، ولقد حث القرآن على تزكية النفس هذه، ووعد بالفلاح من أخذ بها"[٢٣٧]. فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾(الأعلى:١٤)، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(الشمس:٩-١٠).

ولذلك، فإنه ينبغى على كل عاقل أن يحاسب نفسه دائمًا، ليكتسب الأخلاق الحسنة، ويتخلص من الأخلاق السيئة... وليتذكر قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(الزلزلة:٧-٨).

وهذا يقتضى مجاهدة النفس، وذلك بأن تجاهد نفسك فى اكتساب الأخلاق الحسنة والتخلص من الأخلاق السيئة، ممتثلًا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(العنكبوت:٦٩)، وقول المصطفى ﷺ فيما رواه أبو هريرة: (إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم. ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه)[٢٣٨].

فإن كنت بخيلًا- أو قيل عنك ذلك- فجاهد نفسك على أن تكون

كـــريمًا... وإن كنـــت متكـــبرًا فجاهـــد نفـــسك عـــلى أن تكـــون متواضعًا...وإن كنت أنانيًّا تحب نفسك ولو عـلى حـساب الآخـرين، فجاهد نفسك على أن تحب الخير للآخرين وأن تعاملهم بمثل ما تحب أن يعاملوك به... وهكذا.

ثم على الآباء والمربين الأخذ بأيدى الأبناء والمتربـين بمحاسـبتهم للنفس وتقويمها والتحلى بالفضائل والأخلاق الحسنة، والتخلى عـن الرذائل والأخلاق الذميمة، وتدريبهم على مجاهدة النفس فى ذلـك... واعلموا جميعًا بأنه كما قال ﷺ: (الدال على الخـير كفاعلـه)[٢٣٩]، وكـما قال ﷺ فيما رواه عنه أبوهريرة: (من دعا إلى هدى كان لـه مـن الأجـر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومـن دعـا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا)[٢٤٠].

ثالثًا: التوبة إلى الله وأثرها فى تقويم الأخلاق:

التوبة هى الرجوع من الزلات والمعاصى إلى الندم عليها والتوقف عنها، وهى شرط لنيل مغفرة الله تعالى، وشرط للتخلى عن الأخـلاق الذميمة والتحلى بالأخلاق الفاضلة.

وأورد النووى، قول العلماء: إن التوبة واجبة من كـل ذنـب، فـإن كانت المعصية بين العبد وربـه، ولا تتعلـق بحـق آدمـى، فلهـا ثلاثـة شروط: أحدها: أن يقلع عن المعصية، والثانى: أن ينـدم عـلى فعلهـا،

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح التوبة.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى، فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالًا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها[٢٤١].

والتوبة أولاها الإسلام عناية فائقة، فى قرآنه وفى سنته... فقال تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِّ مَتَابًا﴾(الفرقان:٧١)، أى توبة مقبولة عند الله. وقال عز وجل: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهّ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(المائدة:٣٩)، وقال سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(الأنعام:٥٤).

وذلك رسول الله ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يكثر من التوبة والاستغفار إلى الله فى كل يوم... فعن إبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة)[٢٤٢]... وعن الأغر بن يسار المزنى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة)[٢٤٣].

وروى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: (كل ابن

آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[٢٤٤]... واعلم يا ابن آدم أن الله تعالى يقبل توبة العبد متى لجأ إليه من ليل أو نهار، فروى أبوموسى الأشعرى أن النبى ﷺ قال: (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)[٢٤٥].

واعلم يا ابن آدم أن الله يقبل التوبة النصوح ويبدل السيئات حسنات... قال سبحانه: ﴿إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠).

واعلم يا عبد الله أن الله يقبل توبتك ويغفر ذنبك مهما كثرت ذنوبك ومعاصيك، فإنه تعالى واسع الرحمة والمغفرة... قال سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(الزمر:٥٣)... وفى الحديث القدسى، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله: يا ابن آدم، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان فيك ولا أبالى، يا ابن آدم، إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة)[٢٤٦]. وعن أبى هريرة مرفوعًا: (لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم)[٢٤٧].

واسمع لحديث رسول الله ﷺ، الذى رواه أبو سعيد الخدرى، أن نبى الله ﷺ قال: (كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت. فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله تعالى. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم- أى حكمًا- فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة)[٢٤٨]، وفى رواية: (فأوحى الله تعالى إلى هذه الأرض أن تباعدى، وإلى هذه أن تقربى. وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه- أى إلى القرية الصالحة- أقرب بشبر فجعل من أهلها: فغفر له)[٢٤٩].

واعلم يا ابن آدم أن الله ليفرح فرحًا شديدًا بتوبتك إليه. فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لله أفرح بتوبة عبده

إليه من أحدكم سقط على بعيره) أى وجده (وقد أضله فى أرض فلاة)[٢٥٠]. وفى رواية لمسلم: (لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)[٢٥١].

بل واعلم يا ابن آدم أن الله يبدل سيئاتك إلى حسنات إذا تبت إليه وعملت عملًا صالحًا. فذلك قوله تعالى: ﴿إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(الفرقان:٧٠).

ولكن اعلم يا ابن آدم أن الرقيب يراقبك، فلا تذنب ولا تتمادى فى الذنب. فقد يمهلك الله ولكنه لا يهملك، وإذا أخذك، أخذك أخذ عزيز مقتدر... فعن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل يملى للظالم- وفى رواية يمهل للظالم- حتى إذا أخذه لم يفلته)[٢٥٢]، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِى ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(هود:١٠٢).

لذلك فأعلم أن التوبة إنما تكون من قريب، أى بعد الذنب

مباشرة، فلا تتمادى فى المعصية وتسوف فى الإقلاع عنها. فقد تأتى المنية بغتة ولا تدرك التوبة... قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(النساء: ١٧ - ١٨)... وعن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: (أن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)[٢٥٣]، أى ما لم تبلغ روحى الحلقوم ويكون فى النزع الأخير.

وهكذا أيها الآباء والمربون، إذا كان كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، كما قال ﷺ، فعلموا أبناءكم والمرتبين أن يتحروا طريق الفضيلة والأخلاق الحسنة، فيسيرون فيه، وأن يبادروا إلى التوبة وطلب المغفرة إذا ما ارتكبوا ذنبًا أو سلكوا خطوة فى طريق الأخلاق السيئة، وأن يعزموا على التوبة النصوح ويطبقوها بشروطها، سواء كانت المعصية بين العبد وربه، أو كانت تتعلق بحق أدمى... وأن نعود الأبناء الاعتذار لمن يخطئون فى حقه ويطلبون منه العفو والسماح، وأن يستغفروا الله عن كل ذنب وسوء.

رابعًا: أتبع السيئة الحسنة تمحُها:

ليصلح العبد أخلاقه وينقيها من الأخلاق السيئة، عليه أن يأتى بالأعمال الصالحة ويصطبر على الأخلاق الحسنة، ليحقق وعد الله له

فيقبل توبته ويغفر ذنوبه، لأنه سبحانه هو الغفور الرحيم، لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَّ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(المائدة: ٣٩).

وانظر لتلك القاعدة المستمدة من كرم الكريم وعفو العفو الغفور عز وجل وطبقها حتى مع الأبناء والآخرين... وهى أن عمل الخير والإصلاح من بعد الظلم وفعل السيئات، يؤدى إلى الصفح والغفران وإلى محو الذنوب والسيئات، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾(هود: ١١٤). بل ويضاعف سبحانه بواسع رحمته الحسنات وينميها ولا يضاعف السيئات، لقوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(القصص:٨٤). بل ويضاعف سبحانه بسعة رحمته الحسنة بعشر أمثالها... لقوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾(الأنعام:١٦٠).

وانظر لما رواه أبو ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ، أنه قال: (اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[٢٥٤]... لتجد فى ذلك الحديث الشريف الوقاية والعلاج بل وتجد فيه الضمان لعدم عودة الداء... ففيه الوقاية من الذنوب

والمعاصى ومن كل الأخلاق السيئة، وذلك بتقوى الله عز وجل... وفيه العلاج للأمراض الأخلاقية متى وقعت، وذلك بفعل دواء الحسنات التى تقضى على السيئات وتمحوها... وفيه التوجيه والإرشاد لتقوية جهاز الأخلاق المناعى، بمخالقة الناس بالخلق الحسن، لما فى ذلك من كسب للحسنات، وتوقٍ للسيئات.

وهكذا أيها الآباء وأيتها الأمهات وأيها المربون عمومًا، كونوا قدوة لأبنائكم المتربين فى تقوى الله حيثما كنتم، وقدوة فى إتباع السيئة الحسنة لتمحها، وذلك مع الناس ومعهم، وخالقوا الناس وخالقوهم بخلق حسن، وعلموا أبناءكم وربوهم عمليًّا على ذلك، لتحسن أخلاقهم، وتسعدون ويسعدون فى الدنيا والآخرة.

خامسًا: الدعاء بحسن الخلق:

بعد أن ينوى المرء التخلق بالخلق الحسن، ويعزم على ذلك بقلبه، لأنه كما قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)[٢٥٥]، يسأل الله تعالى أن يهديه ويحسن خلقه وأن يرزقه أحسن الأخلاق لأنه هو الهادى وهو الرزاق...﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾(الكهف: ١٧).

وذلك رسول الله ومصطفاه ﷺ- وهو خير قدوة وخير أسوة- كان يسال الله أن يحسن خلقه وأن يرزقه أحسن الأخلاق، مع أنه هو الذى

قال الله تعالى ممتدحًا خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم: ٤)...فعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يدعو: (اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى)[٢٥٦].

والحق تبارك وتعالى أمر- فى حديثه القدسى- بالاستغفار من الذنوب والخطايا وطلب الهداية منه سبحانه... فعن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيما رواه عن ربه تبارك وتعالى، أنه قال: (...يا عبادى، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم... يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفرونى أغفر لكم)[٢٥٧]. وفى رواية الترمذى: (سلونى الهدى أهدكم)[٢٥٨].

ورسول الله ﷺ كان دائم الدعاء بحسن الخلق ودائم الاستعاذة من سيئ الأخلاق...فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان من دعائه حين يفتتح الصلاة- أى هو متكرر كل وقت: (اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت. أنت ربى وأنا عبدك: ظلمت نفسى واعترفت بذنبى، فاغفر لى ذنوبى جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وأهدنى لأحسن الأخلاق، لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها، لا يصرف عنى سيئها إلا أنت)[٢٥٩]. وعن قطبة بن مالك أن النبى ﷺ كان يدعو بهؤلاء: (اللهم جنبنى منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء)[٢٦٠]، وعنه فى رواية أخرى،

أن النبى ﷺ كان يقول: (اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء)[٢٦١].

وهكذا فعليكم أيها الآباء وأيتها الأمهات وأيها المربون دعاء الهادى الرزاق أن يهديكم لحسن الخلق، وأن يرزقكم أحسن الأخلاق... ثم علموا أبناءكم الدعاء بحسن الخلق والرزق بأحسن الأخلاق.

هوامش الفصل السادس

(٢٣٤) السيوطى (١٩٥٧)، الألبانى [الصحيحة (١٥٨٥)].

(٢٣٥) الترمذى (٢٤٥٩)، النووى (٦٦).

(٢٣٦) الترمذى (٢٤٥٩).

(٢٣٧) عفيف عبدالفتاح طبارة: مرجع سابق، ص٢٠١.

(٢٣٨) السيوطى (٢٥٧٧)، الألبانى (٢٤٥٠) [الصحيحة (٣٤٢)].

(٢٣٩) الألبانى (٢٤٦٨) [الصحيحة (٦٥١)].

(٢٤٠) مسلم (٢٦٧٤)، الترمذى (٢٦٧٤)، أبـوداود (٤٦٠٩)، الألبـانى (١١٠٤) [الصحيحة (٨٦٥)].

(٢٤١) النووى: **رياض الصالحين**، القاهرة، دار الريـان للـتراث، ١٩٨٧، ص٩.

(٢٤٢) البخارى (٥٨٣٢).

(٢٤٣) مسلم (٢٧٠٢)، النووى (١٤).

(٢٤٤) الترمذى (٢٤٩٩)، السيوطى (٦٢٩٢).

(٢٤٥) مسلم (٢٧٥٩)، النووى (١٦)، السيوطى (١٨٤٤).

(٢٤٦) **الأحاديث القدسـية**، القـاهرة، دار إحيـاء الكتـب العربيـة، د.ت، (١/ ٧٢).

(٢٤٧) السيوطى (٧٤٢٢)، الألبانى (١٣٧٠) [الصحيحة (٩٠٣)].

(٢٤٨) البخارى (٣٢١١)، مسلم (٢٧٦٦).

(٢٤٩) مسلم (٢٧٦٦)، النووى (٢٠).

(٢٥٠) البخارى (٥٨٣٤)، مسلم (٢٧٤٧)، الترمذى (٢٤٩٨)، النووى (١٥).

(٢٥١) مسلم (٢٧٤٧).

(٢٥٢) مسلم (٢٥٨٣)، الترمذى (٣١١٠).

(٢٥٣) الترمذى (٣٥٣٧).

(٢٥٤) الترمذى (١٩٨٧)، المنذرى (٤٦٠٩)، السيوطى (١١٥).

(٢٥٥) البخارى (١)، مسلم (١٩٠٧)، الترمذى (١٦٤٧)، أبوداود (٢٢٠١).

(٢٥٦) السيوطى (١٤٨٥) [صحيح: الإرواء (٧٤)].

(٢٥٧) مسلم (٢٥٧٧)، الأحاديث القدسية (٢٦٦) (٢٦٨).

(٢٥٨) الترمذى (٢٤٩٥).

(٢٥٩) مسلم (٧٧١)، الترمذى (٣٤٢١) (٣٤٢٢) (٣٤٢٣)، أبوداود (٧٦٠) (١٥٠٩).

(٢٦٠) السيوطى (١٤٧٢).

(٢٦١) الترمذى (٣٥٩١).

المراجـع

(١) ابن أبى الدنيا: **مكارم الأخلاق**، ضبط أحاديثه: ناصر النجار، الإسكندرية، دار ابن خلدون، ٢٠٠٨.

(٢) ابن رجب الحنبلى: **لطائف المعارف**، دار الجيل، ص١٣، فى: أحمد فريد: التربية على منهج أصل السنة والجماعة، الإسكندرية، الدار السلفية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٣) أبوبكر جابر الجزائرى: **منهاج المسلم**، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت.

(٤) أبوداود: **سنن أبى داود**، تحقيق: السيد محمد سيد، عبدالقادر عبدالخير، سيد إبراهيم، القاهرة دار الحديث، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٥) أحمد فؤاد الأهوانى: **جون ديوى نوابع الفكر الغربى (١١)**، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٨.

(٦) أحمد مصطفى متولى: **الموسوعة الأم فى تربية الأولاد فى**

الإسلام، جـ١، القاهرة، دار ابن الجوزى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٧) **الأحاديث القدسية**، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

(٨) الألبانى: **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الرياض، مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٩) البخارى: **صحيح البخارى**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، القاهرة، دار التقوى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(١٠) الترمذى: **سنن الترمذى**، تحقيق: مصطفى الذهبى، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(١١) الرازى: **مختار الصحاح**، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(١٢) السيوطى: **الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير**، خرج أحاديثه: محمد بن على جيلانى، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(١٣) الغزالى: **إحياء علوم الدين**، تحقيق: محمد عبدالملك الزغبى، القاهرة، دار المنار، جـ٣، د.ت.

(١٤) الماوردى: **أدب الدنيا والدين**، المنصورة، مكتبة الإيمان، ١٩٩٣م.

(١٥) المنذرى: **الترغيب والترهيب**، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندى، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(١٦) النسائى: **سنن النسائى**: شرح الحافظ السيوطى وحاشية السندى، القاهرة، دار الريان، د.ت.

(١٧) النووى: **رياض الصالحين**، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٩٨٧م.

(١٨) إميل دوركايم: **التربية الأخلاقية**، ترجمة: السيد محمد بدوى، القاهرة، مكتبة مصر، د.ت.

(١٩) جمال الدين إبراهيم محمود: "التحديات العالمية فى الألفية الجديدة والتربية الأخلاقية لأبنائنا"، **التربية الأخلاقية**، القاهرة، المشروع القومى للتربية الأخلاقية، السنة الثالثة، ع٥، يناير ٢٠٠٥م.

(٢٠) حامد أحمد الطاهر: مائة قصة من قصص الصالحين، القاهرة- المنصورة، دار الغد الجديد، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢١) حسين عصفور: **٢٠٠ قصة وقصة فى سمير الصالحين وأنيس المتقين**، القاهرة، دار المنار، ١٩٩٨م.

(٢٢) رانيا عبدالمعز الجمال: "المدرسة والتربية الأخلاقية"، **التربية الأخلاقية**، القاهرة، المشروع القومى للتربية الأخلاقية، السنة الثالثة، ع٥، يناير ٢٠٠٥م.

(٢٣) سعيد إسماعيل القاضى: **أصول التربية الإسلامية**، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٢٤) سعيد إسماعيل على: **غروب الضمير**، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٢٥) عبدالله ناصح علوان: **تربية الأولاد فى الإسلام**، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط٣٨، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢٦) عفيف عبدالفتاح طبارة: **روح الدين الإسلامى**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٨، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

(٢٧) على بن أبى طالب: **نهج البلاغة**، شرح: الأمام محمد عبده، تحقيق: أحمد جاد، القاهرة، دار الغد الجديد، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢٨) كوثر حسين كوجك: "التعليم وتعلم القيم والأخلاق يبدأ فى رياض الأطفال"، **التربية الأخلاقية**، القاهرة، المشروع القومى للتربية الأخلاقية، السنة الثالثة، ع٥، يناير ٢٠٠٥م.

(٢٩) مالك: **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

(٣٠) مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، القاهرة، الهيئة القومية لشئون المطابع الأميرية، ١٣٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٣١) محمد بن صالح العثيمين: **أسماء الله الحسنى**، شبين الكوم، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص٢٢٣.

(٣٢) محمد بيصار: **العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع**، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط٤، ١٩٧٣م.

(٣٣) محمد حسين: **تربية الأولاد فى الإسلام**، الإسكندرية، دار الدعوة، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٣٤) محمد على الصابونى: **صفوة التفاسير**، القاهرة، دار الصابونى، ط٩، د.ت.

(٣٥) محمد قطب: **منهج التربية الإسلامية**، بيروت، دار الشروق، ط٢، د.ت.

(٣٦) محمود المصرى: **الزواج الإسلامى السعيد**، القاهرة، مكتبة الصفا، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٣٧) محمود المصرى: **ساعة وساعة نوادر وعجائب**، القاهرة، مكتبة الصفا، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٣٨) محمود المصرى: **من أخلاق الرسول** ﷺ، القاهرة، دار التقوى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٣٩) مسلم: **صحيح مسلم**، المنصورة، مكتبة الإيمان، د.ت.

(٤٠) مصطفى العدوى: **فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء**، المنصورة، دار ابن رجب، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٤١) منصور الرفاعى عبيد: "القيم الأخلاقية"، **التربية الأخلاقية**، القاهرة، المجلس القومى للتربية الأخلاقية، السنة الرابعة، ع٧، أكتوبر٢٠٠٦م.

(٤٢) نادية يوسف كمال: "فى التربية الأخلاقية"، **التربية الأخلاقية**، القاهرة، المشروع القومى للتربية الأخلاقية، السنة الأولى، ع٢، يوليو٢٠٠٣م.

(٤٣) يعقوب المليجى: **الأخلاق فى الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية**، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.